الفصل التاسع

الحرية السياسية عند المفكر الجزائري الشيخ عبد الحميد بن باديس

عبد الكريم بوصفصاف(*)

لقد كثر الحديث عن الحرية بمعناها الواسع في أيامنا هذه، وتضاربت فيها النظريات والتطبيقات حول المثل العليا لهذه القيمة الإنسانية وتحقيقها في الواقع المعيش في هذا العالم، الذي أصبح يعطي الحرية مقاييس أو معايير تختلف من الأقوياء إلى الضعفاء، ولم يبقِ للحرية السياسية مجالاً لإرادة هذه الأمة أو تلك.

وحتى الكلمات التي تنافسها في الذيوع، كالاستقلال والديمقراطية والتنمية، أصبحت تُستعمل في الغالب مرادفة لها، حيث لا نكاد نجدها إلا ملتصقة بها، موضحة لها.

إن الحرية حق طبيعي للإنسان، لا يمكن لأي قوة كانت أن تحرمه هذا الحق الطبيعي، وسيظل الإنسان يبحث عن هذا الحق مهما تنوع العقبات أو تتزايد الأغلال.

وإذا تأمل المرء في المذاهب الاجتماعية والفلسفية والحضارية عموماً، فإنه يجد غاياتها تلتقي من الوجهة النظرية حول هدف واحد وهو الأخذ بيد الإنسان إلى حقه في الحرية والعيش الكريم من أقرب الطرق.

وعند الاختبار والتطبيق تظهر الأخطاء هنا وهناك، ويكون التفاضل بين

(*) جامعة منتوري، قسنطينة ـ الجزائر.

مذهب ومذهب آخر، وتتسع دائرة النقاش بين المؤيدين والمعارضين، فمن أراد منهم الحق وصل إليه بفكره وضميره، ومن كان همه الجدل فسيقضي العمر كله في اختراع الأباطيل واصطناع التهم، ذاهباً بالقول والرأي إلى أحط غاية يمكن أن يذهب إليها.

وبحكم حاجة الفرد إلى المجموعة، كان لزاماً عليه أن يبدأ بالأُسرة، وينتهي بالدولة فالأمة فالعالم كله. وقد يضطر هذا الفرد أو ذاك ـ مع تحرره وجدانياً وفكرياً ـ إلى ضروب من العبودية والقهر تحول بين طاقته وغايته، وبهذا يكون شعوره بالحرية الشخصية مرتبطاً بمدى حريته أو بمدى رقه الاجتماعي، وفي هذه الحالة إمّا أن تثور نفسه انتقاماً لكرامتها، مفضلة الموت على الحياة الذليلة، وإمّا أن تخلد إلى ضعف يكون كامناً فيها، فتذهب الجهود المبذولة لتحريرها هدراً[1].

وأول ما يبدأ به في هذا السياق هو تدعيم الشخصية الفردية، والاعتراف بكرامة الفرد وأهميته في المجتمع، وثقته بنفسه على أنه كائن بشري قادر على إحداث التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والنفسي، ونحو ذلك.

وهذا ما سنعالجه عند المفكر الجزائري عبد الحميد بن باديس.

وقبل التطرق إلى موضوع الحرية السياسية عند هذا المفكر، ينبغي طرح التساؤلات الآتية:

ـ لماذا اختيار موضوع الحرية السياسية بالذات عند المفكر الجزائري عبد الحميد بن باديس؟

ـ هل كانت الحرية في الجزائر مفقودة كمصطلح أو كممارسة أو كلاهما معاً؟

ـ هل كانت الحرية السياسية تُطرح في النصوص الباديسية بمفهوم الحرية السياسية، أم بمفهومها التقليدي كما هو في الثقافة العربية الإسلامية؟

ـ هل كانت تُطرح بمعنى مرادف للاستقلال أم بمعنى الحرية الطبيعية؟

يرى ابن باديس[2] أن للفرد في الإسلام فكره الخاص وذاته الحرة المستقلة، ومن أول حقوقه أن يختار ويعمل بوحي من عقله أو ضميره ليجني في النهاية

---

(١) بكر موسى، **حرية الإنسان في الإسلام**، سلسلة البحوث الإسلامية؛ ٧٤ (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٧)، ص ١٤٦.

(٢) **الشهاب** (قسنطينة، الجزائر)، السنة ٥، العدد ١ (شباط/ فبراير ١٩٢٩)، ص ٦٥.

ثمرة كل ذلك، خيراً كان أو شراً. وبما أن المجتمع الجزائري في عهد ابن باديس لم يكن حراً لا في تفكيره ولا في إرادته، وإنما يسخر للقيام بواجبات دون أن تكون له أي حقوق، رفع عقيرته مطالباً الحكومة الفرنسية الاستعمارية بمنح كل الحقوق للذين قاموا بكل الواجبات.

والحرية السياسية، كما يرى ابن باديس، لا تقوم على الدين أو المذهب أو التفريق بينهما، وإنما تقوم على أساس العدالة والمساواة بين جميع الفئات والطبقات الاجتماعية، بغض النظر عن الأصل أو الدين أو الجنس، فينبغي ألاّ ننظر إلى المسلمين لنحكم على الإسلام، أو ننظر إلى المسيحيين لكي نحكم على المسيحية، أو ننظر إلى الشيوعيين أو الوجوديين لكي نحكم على آراء **كارل ماركس** أو **كيرك غورد**، ونحو ذلك.. وإنما يجب أن نرد كل ظاهرة إلى سببها الحقيقي، وأن ننظر في الدين أو المذهب نظرة فاحصة، لنرى ما فيه من فوائد وما فيه من أضرار، أو ما يحتويه من محاسن أو مساوئ.

يقول ابن باديس إن نهضتنا بُنيت على العلم، أركانها لا يخشاها ـ والله ـ اليهودي ليهوديته ولا النصراني لنصرانيته ولا حتى المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب أن يخشاها ـ والله ـ الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته.

وهذا التصريح السياسي لابن باديس إنما يريد من خلاله أن يبرهن للساسة الفرنسيين المحتلين أن الجزائريين في نهضتهم السياسية والأدبية والعلمية لا يفرقون بين الديانات ولا بين الأجناس، إلا إذا تعلق الأمر بالظلم والاعتداء والدجل على الأمة والخيانة للمبادئ الإنسانية السامية، التي تعطي الإنسان حريته في الحياة دون قيد أو شرط إلا من التقى فيهم مع الآخرين. وابن باديس لا يؤمن بازدهار العلم في ظل العبودية السياسية، وإنما يرى أن ازدهار العلم لا يكون إلا بازدهار السياسة العادلة التي تفشي الحرية بين جميع أفراد المجتمع دون تمييز.

وقد أكد في كثير من المناسبات ضرورة الحرية السياسية، واعتبر السياسة مهنة شريفة، وهي موضوع شامل يحد من استمرار الغرور العالق في تدبير شؤون المجتمع بما يمكن تناول كل ما له علاقة بالمسائل العمومية، وذكر ما لها وما عليها من نزاهة وإخلاص، ذلك أنه ليس في الإسلام أدنى إشارة إلى تحريم الحرية السياسية، والمفروض أن تشريعات أي دولة وقوانينها لا تمنع أقلام المفكرين من الخوض في مجالات السياسة لبلوغ درجة عالية من التقدم والتمدن.

كما أوضح أن أخلاق السياسة مبنية على القوة والرحمة ومحاربة الاستبداد،

والاعتناء بالضمير لدفع الأفراد نحو العمل الجماعي، وتقدير العلم والعمل والقوة والعدل والمساواة والعناية بعلاقات الأفراد فيما بينهم[٣].

وتبدو أهمية الحرية السياسية بجلاء عند ابن باديس في محاضرة له ألقاها في تونس سنة ١٩٣٧م، مما جاء فيها: «**لابد من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلّا** إذا نهضت السياسة»[٤]... «**وكلما اتسع نطاق الحرية ومناخ الاستقلال الفكري طفر النهوض من طرف إلى آخر، غير وانٍ في عدوه وسيره ولا منحرف على اتجاهه، وكلما بزغ نور العلم في أفق الحضارة تلته أنوار التجدد المادي، وكلما خطا البشر خطوة في اكتشاف المجهول انبعث رواد الحقائق إلى إفساح المجال السياسي والاجتماعي**»[٥].

وهي تلك التي لا تفرق بين الأجناس والأديان والطبقات الاجتماعية، فهو يعلن صراحة أن الحرية السياسية في عصره كانت مفقودة عند جميع الطبقات الاجتماعية من أبناء الوطن، ولم تكن تمارس إلا بين المستبدين الكابحين لجماح الإرادة الإنسانية في الجزائر بل وللعقل البشري المدبر كلّه. حين كتب مقالاً باحثاً عن أقباسها المنيرة لدروب الإنسانية فلم يجدها إلا صريعة تحت أقدام الهمجية الاستعمارية التي لم تكن ترى الحقيقة إلا متلونة ومختلفة في شكلها ومضمونها من البلد الأم المتروبولي إلى البلد المستعمَر(بفتح الميم)، لأن الفلاسفة الاستعماريين الفرنسيين أمثال **باسكال** لم يكونوا يرون الحقيقة إلا داخل حدود البيرنيه، فما هو جميل في وطن الأم هو قبيح في البلد المستعمَر[٦]: «أيتها الحرية المحبوبة أين أنت في هذا الكون»، تحتفل بأعيادك الأمم، وتنصب لتمجيدك التماثيل ويتشدق بأمجادك الخطباء، ويتغنى بمفاتنك الشعراء، ويتفنن في مجالك الكتاب، ويتهالك من أجلك الأبطال، وتسفك في سبيلك الدماء، وتدك لأجلك القلاع والمعاقل، ولكن أين أنت في هذا الوجود؟...»

بعد أن يصف المفكر الجزائري صراع البشرية من أجل الفوز بهذه القيمة

---

(٣) عبد الحميد بن باديس، في: **الشهاب**، السنة ٥ (حزيران/ يونيو ١٩٢٩)، ص ٢٥.

(٤) عبد الحميد بن باديس، «الحركة العلمية والسياسية،» **البصائر** (الجزائر)، السنة ٣، العدد ٧١ (حزيران/ يونيو ١٩٣٧).

(٥) عبد الحميد بن باديس، «هل النظم الجزائرية تتطور تطوراً ارتجاعياً أم تطوراً مماشياً للعصر،» **الشهاب**، السنة ٥، العدد ١ (شباط/ فبراير ١٩٢٩)، ص ٢٢.

(٦) عبد الحميد بن باديس، «أيتها الحرية المحبوبة: أين أنت في هذا الكون؟،» **البصائر**، العدد ٢٢٦ (نيسان/ أبريل ١٩٥٣).

الإنسانية الرفيعة، وهي الحرية السياسية التي تفسح المجال لباقي الحريات الأخرى كالحرية الاجتماعية والفكرية، يتساءل عنها قائلاً: «أين أنت في هذا الوجود، كم من أمم تحتفل بعيدك! وقد وضعت نير العبودية على أمم.. وأمم، وكم من قوم نصبوا لك التماثيل في الأرض وقد هدموك في القلوب والعقول والنفوس، وكم من خطيب فيك مفوه وقد كمم عن ذكراك الأفواه، وكم من شاعر فتنه جمالك، ولكن لا شعور له مع المستعبدين، وكم من كاتب يلبسك الحلل الضافية من نسج أقلامه، ولكنه لا ينيلك خرقة بالية من صنع يده».

إن هذه الكلمات المنتقاة التي صاغها ابن باديس في صورة شاعرية معبّرة تثير المشاعر والعواطف المكبوتة في نفوس مواطنيه، الذين كانوا يرزحون تحت كابوس الاستعمار الجاثم على الصدور والنفوس، تبعث في قلوبهم جذوة الحرية التي طالما عشقوها وتغنوا بأمجادها منذ الأزل لأنها أصبحت كلمة محظورة في بلاده منذ قرن من الزمن.

وبما أن الحرية السياسية كانت مرادفة للحرب أو الإجرام في الجزائر إبان الوجود الاستعماري، فقد أراد المفكر الجزائري ها هنا أن يبعثها في عقول الناس وقلوبهم بصيغ أدبية شاعرية فلسفية وسياسية معبّرة عن مدى حاجة النفس البشرية إلى الحرية التي لا تتوفر إلا في ظل الديمقراطية والسياسة العادلة، وهي مفقودة في بلاده آنذاك.

ويواصل استنفار مواطنيه بهذه الكلمات السحرية قائلاً: «وكم من أبطال استشهدوا لإنقاذك ولكن خلفهم من قضى عليك في مهدك، وكم من دماء زكية كتبتها صحائف تاريخك، ولكن محتها دماء قلوب تحدرت دموعاً عن الجفون، وكم هدم صرحك هادم ولكن بنى على أنقاضه سجوناً للأحرار، فأين أنت أيتها الحرية المحبوبة في الوجود...».

إن ابن باديس الذي خاطب الحرية بهذه الطريقة الشاعرية كان في الوقت ذاته يصف المحتلين الاستعماريين بسلوك سياستين متناقضتين، كانوا يبحثون من خلال الأولى عن الحرية في بلادهم داخل السجون والمعتقلات الرهيبة التي شيدتها المَلَكيات المستبدة، فحرروها وظلّوا يحتفلون بإخراجها من سجن الباستيل ويقيمون التماثيل لأبطالها لأنهم كانوا خطباء مفوهين في الحديث عن الحرية والإخاء والمساواة، أمثال الشعراء والفلاسفة الذين كانوا يتغنون بجمالها ومفاتنها.

أمّا السياسة الثانية، فهي معاكسة ومضادة تماماً لذلك التوجه الذي ساروا عليه في بلادهم، فقد أقاموا السجون والمعتقلات والزنزانات في بلدان مستعمَرة، وقضوا على الحرية بين أبنائها بل لاحقوها حتى في قلوب الناس وعقولهم، وحولوها إلى دموع منهمرة من الجفون، ودماء نازفة من القلوب، وهدموا صروحها، وبنوا على أنقاضها سجوناً للأحرار.

فابن باديس يهمز بهذا النص الأدبي السياسي الفلسفي الفكري الرفيع جانب المستعمِر وينبهه إلى أن أعماله التي يقوم بها في البلدان المستعمَرة هي مناقضة للحرية السياسية والفكرية ولمبادئ الثورة الفرنسية ذاتها، وهي الصورة نفسها التي نشاهدها اليوم في بلاد الرافدين من الصراع الدموي بين أصحاب الحرية الحقيقيين، والغزاة المعتدين الذين يريدون تكييف مفهوم الحرية والديمقراطية طبقاً لمصالحهم الخاصة.

ثم ينتقل إلى مخاطبة الحرية مرة أخرى بأسلوب استفهامي وبمساءلة مستمرة للحرية في كل موقف من المواقف التي كانت تتزاحم في مخيلته، وترتسم على ذاكرته من خلال التجربة الواعية التي عاشها.

يواصل ابن باديس تساؤله وبحثه عن الحرية فيقول: «**فتشت عنك في قصور الأغنياء فوجدت القوم قد استعبدهم الدينار والدرهم، وغلّت أيديهم إلى أعناقهم الشهوات**».

«**فتشت عنك في أكواخ الفقراء فوجدت المساكين قد قيدهم الفقر فرماهم في غيابات الجهل ودركات الشقاء**».

«**فتشت عنك في الشعوب القوية فوجدت العتاة الطغاة قد قيدتهم الأطماع في تراث الضعفاء**».

«**فتشت عنك في الشعوب الضعيفة فوجدت الأنضاء المرهقين قد كبلهم استبداد الأقوياء، فأين أنت أيتها الحرية المحبوبة من هذا الورى؟**».

بالطريقة ذاتها يبحث ابن باديس عن الحرية بين الشعوب، متنقلاً من قصور الأغنياء إلى أكواخ الفقراء، إلى الشعوب القوية، إلى الشعوب الضعيفة، فلم يعثر لها على أثر، على الرغم من أن الحرية كما يصفها هي حقيقة هذا الكون، ولكنها حقيقة خفية عند البشر، جلية على الطبيعة، ناصعة في قلوب المستعبَدين.

وهو يعزو ذلك كله إلى انهيار صرح الحرية السياسية في بلدان الشعوب الضعيفة المستعمَرة.

«أنت أنت الحقيقة الخفية خفاء حقيقة الكهرباء».

«أنت أنت الروح السارية في عالم الأحياء، ولئن خفيت بذاتك فقد تجليت على منصة الطبيعة في بسائط الأرض وأجواء السماء فأبصرتك عيون اكتحلت بأثمد الحقيقة، واقتبست منك عقول صقلت بالعرفان، واحتضنتك صدور أنيرت بالإيمان، وتذوقتك نفوس ما عبدت إلا الله، وخدمك قوم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

«آه ـ آه أيتها الحرية المحبوبة واشوقاه إليك! بل واشوقاه إليهم! المحيا محياهم والممات مماتهم».

لقد مات ابن باديس وهو يحترق شوقاً وتلهفاً على الحرية السياسية والفكرية المفقودة في بلاده؛ فقد صورها في حياته بأجمل صورة، وألبسها أفخر ثياب، ونعتها بأرق وأعذب الكلمات المعبّرة عن شوق المضطهدين إلى نور الحرية، وبأعمق الكلمات المدينة لمستعبدي الحرية بجميع أشكالها وألوانها، ولكنه يؤكد دائماً أن الحرية السياسية أم الحريات جميعاً.

«أيها الشعب الكريم وما أعداؤك إلّا الذين وقفوا لك في طريق الحياة والتقدم منذ عرفتهم وعرفوك، فسدّوا عليك أبواب الرزق والعلم، وسلبوك الحرية والثروة، واستغلوك كما تستغل الحيوانات العجماء، بل أشد وأشر، وها هم اليوم يريدون خداعك ويحاولون استعمالك آلة لأغراضهم ضد أصدقائك الإنسانيين»[٧].

يتضح من هذه الفقرة الأخيرة أن ابن باديس كان يحث الجزائريين على الامتناع عن المشاركة في الحرب الكونية الثانية إلى جانب الفرنسيين، لأنه يعتبر الألمان والإيطاليين وغيرهم من الأجناس الأخرى التي خاضت حروباً دموية مع فرنسا أصدقاء للشعب الجزائري، فلماذا يحاربهم، ولماذا يقاتلهم وهو مستعبَد سياسياً من أحفاد نابليون بونابرت الذين يريدون الزج به في أتون حرب لا ناقة له فيها ولا جمل: **«كن مستيقظاً لتبرهن على أنك شعب لا تريد إلّا** العيش والحرية والسلام. . .»

«ناد من كل قلبك ليسقط الظلم والاستعباد، وأضداد الأجناس، وناد بحرية الأديان والأفكار».

---

(٧) عبد الحميد بن باديس، «مآثر جمعية العلماء في تهدئة الأفكار،» **البصائر** (آب/ أغسطس ١٩٣٦)، ص ٧.

إذن لم تكن الحرية عند ابن باديس مجرد حرية دينية وجتماعية، إنما كان التركيز فيها على الحرية السياسية التي إن تحققت، تحققت كل الحريات المجاورة الأخرى.

لقد كان ابن باديس يستغل كل فرصة مناسبة ليخاطب مواطنيه دائماً بألفاظ لا تخلو من الحرية والسياسة والديمقراطية والعدالة والتسامح والإخاء.

فقد قال ذات يوم (٢ آب/أغسطس ١٩٣٦) لمواطنيه الذين كانوا يحلمون بالحرية والاستقلال عن جلاديهم:

«أيها الجزائري التاريخي القديم المسلم الصميم، إنك برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ أن كنا نحن حاملين للوائها وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها وكيف نحيا ونموت لأجلها».

«. . . . أيها الشعب لقد عملت وأنت في أول عملك فاعمل ودم على العمل وحافظ على النظام واعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة وراءها خطوات ووثبات، وبعدها إمّا الحياة أو الممات»[٨].

والحق أن هذا الخطاب يدعم خط السير نحو المعركة الفاصلة بين الحرية والعبودية، بين الديمقراطية والديكتاتورية، بين الحق والباطل، بين الإنسانية والهمجية، كما كان يتطلع إلى ذلك المفكر الجزائري في خطابه العام إلى الجماهير الشعبية التي أصبحت بالنسبة إليه كالروح من الجسد أو كالماء للسمك، وهو خطاب تعبوي يشير إلى قرب المعركة مع المحتلين، يدعو فيها الشعب إلى الاستعداد المعنوي قبل الاستعداد المادي.

إن المفكر الجزائري، وإن كان لم يستطع أن يطالب صراحة بالاستقلال التام عن فرنسا، فإنه قد عبّر عن ذلك بطرق وأساليب أعمق من ذلك بكثير، لأنه كان رجلاً مفكراً وسياسياً منظّراً يصوغ مطالبه في آراء ونظريات سياسية رفيعة المستوى لتصل إلى المفكرين والفلاسفة الفرنسيين، وليس فقط إلى السياسيين والعسكريين المحترفين.

فالحرية السياسية إذن عند ابن باديس كانت تأتي في نصوصه بمعنى الاستقلال ومعنى السيادة، ومعنى الكرامة الإنسانية، وإن كان هذا لا يعني أنه لم يتحدث عن الاستقلال بعبارات واضحة بل بالعكس، فقد كتب ذلك مرات عديدة.

---

(٨) عبد الحميد بن باديس، «كلمات قالها ابن باديس،» **الشهاب**، السنة ١٢، العدد ٦ ([١٩٣٦])، ص ٢٧٢.

وقد ردّ ابن باديس ذات يوم على السلطة الفرنسية الرابعة قائلاً: «ومما يؤسف له أنكم لا تدركون تطورات الأمم، وتقلبات الأيام وتفكرون فينا في القرن العشرين بأفكار القرون الوسطى»[٩].

ونفهم من هذا الرد أن ابن باديس كان فعلاً يعتمد على التطور التاريخي للشعوب في دعوته إلى تحرير الجزائر من ربقة الاحتلال، فهو يعتقد أن الفرنسيين بعد هذا التقدم الهائل في الحضارة المادية والفكرية، سيراجعون علاقاتهم مع الشعوب المستعمرة، ويتخلون عن سيطرتهم واستبدادهم لكثير من الشعوب، وربما كان هذا طموحاً أو خيالاً جامحاً ظل يراود المفكر الجزائري ردحاً من الزمن قبل أن يتحول إلى الفكر الثوري المناهض للاستعمار بجميع أشكاله وألوانه.

وهكذا كنا نلمس فكرة الحرية السياسية في كل نص من نصوص هذا المفكر النهضوي الذي شق عصا الطاعة لفكر الحركة الإصلاحية التي اتسمت في كثير من الأحايين بالمهادنة أو المصالحة مع الاحتلال الأوروبي الحديث في بعض البلدان العربية والإسلامية، وأكد غير مرة على أن الحريات العامة والخاصة لا يمكن أن تتحقق في المستعمرات إلا بالحرية السياسية التي تغطي كل مظهر من مظاهر الحياة في الأمة.

وقد أوضح في مناسبات عديدة أن مسألة الاستعمار ليست مسألة قمع أو تضييق الخناق على الناس واتّباع سياسة التشدد والعنصرية، وإنما العلاج الوحيد لهذه الأمم والشعوب هو استرجاع حريتها واستقلالها: «... إن هذه الأمم الإسلامية العربية استيقظت من سباتها، وهبّت للنهوض من كبوتها، وشعرت لكرامتها، وأخذت تذكر ماضيها أيام حريتها واستقلالها وهو غير بعيد في الماضي عنها، فانبعثت تعمل لفك قيودها ونيل حريتها وتبوؤ منزلتها اللائقة بها كسائر الأمم التي ليست هي في قوميتها وتاريخها»[١٠].

إن هذا المقال الذي كتبه للردّ على القوى الاستعمارية في فرنسا وإيطاليا معاً في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٧م، يؤكد الخط الراديكالي الذي اتّبعه ابن باديس في مقاومة الاستعمار والمطالبة باستقلال شعوب الشمال الأفريقي، ذلك أن مقالات السنوات الأخيرة من حياته أصبحت حافلة بعبارات الحرية والقومية

---

(٩) عبد الحميد بن باديس، «صدى منشورنا على الأمة والنواب في الصحف الاستعمارية،» **الشهاب**، السنة ١٣ (أيلول/ سبتمبر ١٩٣٧)، ص ٣٣٠.

(١٠) عبد الحميد بن باديس، «الشمال الإفريقي كيف يجب أن يعالج،» ص ٣٩٨.

والاستقلال، لاسيما أن بلدان المغرب العربي في هذه الفترة أصبحت تعج بالاضطرابات السياسية والانتقادات الجريئة للنظم الاستعمارية في ربوع هذه الأقاليم العربية الأفريقية، نتيجة للأفكار الوطنية الثورية والدعوات الإصلاحية.

وهذا ما جعله يقترح على الاستعمار طرقاً وأساليب لعلاج مشكلات شعوب المغرب العربي الرازحة تحت نير العبودية والاضطهاد، فيحددها في الحلول الآتية:

١ ـ تغيير السياسة الاستعمارية بسياسة جديدة تكون أكثر مرونة.

٢ ـ الاعتراف بالكيان القومي لهذه الشعوب.

٣ ـ فسح المجال أمامها للعمل والتقدم والرقي.

٤ ـ منحها حريتها وتدعيمها ومساندتها لتحقيق استقلالها[١١].

ويرى أن علل كل هذه الاضطرابات والثورات تكمن في تغييب حرية الشعوب وإرادتها القومية.

وإذا كان الفرنسيون يريدون الخير فعلاً للجزائريين، فعليهم أن يحبوا الشعب الجزائري ذاته وليس الأرض، إذا أرادوا أن يظهروا بمظهر الحرية والديموقراطية حقاً.

لقد ظل ابن باديس منذ أن شرع في كتابة المقالات السياسية سنة ١٩٢٤ يتحدث بطرق وأساليب متنوعة ومتطورة بتطور الزمن عن الحرية السياسية، تارة يلبسها لباس الآنية بما فيها من عناصر سياسية قائمة، وتارة يتحدث عنها بمفهومها المستقبلي في ظروف جديدة وبوسائل مختلفة وبتصورات وطنية أخرى، لأنه كان يتقلب مع الزمن والظروف السياسية الاستعمارية تقلّب الليل والنهار في الشتاء المغاربي.

---

(١١) المصدر نفسه، ص ٤٠٥.